الصّعود على ظهر أبي

قاسم سعودي

الصّعود على ظهر أبي

العنوان
للنشر و التوزيع

مسعى للنشر والتوزيع
Masaa Publishing & Distribution

2016

QASIM SAOUDI
CLIMBING MY FATHER'S BACK

الصعود على ظهر أبي/ شعر

قاسم سعودي

Climbing My Father's Back

Qasim Saoudi

الطبعة الأولى - 2016

ISBN 978-1-988483-06-1

جميع الحقوق محفوظة

مسعى للنشر والتوزيع
Masaa Publishing & Distribution
Ottawa, ON. Canada
info@masaapublishing.com
www.masaapublishing.com

العنوان
للنشر و التوزيع
ص.ب: 81811 الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
البريد الإلكتروني: alenwan10@gmail.com
هاتف: 1511-653-55-971+

Copyrights © Masaa Publishing and Distribution 2016

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أي وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات أو استرجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

لوحة الغلاف: علي حسين ميرزا

تصميم الغلاف: محمد النبهان

الفهرس

- ثوب العائلة 11
- زجاج أخي 12
- دكان الحلاق 14
- شقوق الملابس 15
- الثوب الذي كان شجرة 16
- كتاب الطيور 17
- قطعة ذهبية صغيرة 18
- 1994 19
- قميص في بغداد 20
- عامل المقهى 22
- تنظيف المنزل 23
- قدم جاري 24
- غرفة الأطفال 25
- الحمامة 26
- اليتيمة التى تنسى 27
- أربعة طيور 28
-عندما تهدي إلينا الدجاجة بيضة 29
- أثاث الحديقة 30
- كرادة مريم 31
- الساحر 33
- أختي الصغرى 34
- خمسة طيور على الشرفة 35

- الطفلة التي تحت الأثاث 36
- البنت التي لا تحب الجنة 37
- درس الرسم 38
- الكرسي الذي يتحرك في المنزل 39
- ثياب المدرسة 40
- بائع الحلوى 41
- النوم مبكراً في الغرفة 42
- الشجرة 43
- 1991 44
- دراجة الهواء 45
- قطعة حلوى 47
- عظام سوداء 49
- كتاب الجغرافيا 51
- حي شعبي 52
- القطار 53
- الغرفة 54
- خجل 55
- حارس مرمى 56
- الخروج من الكوكب 58
- في ثماني ساعات 60
- هل تريد أن ترى الجنة 61
- وحيدات 62
- الجسر 63
- البيت الذي يطير في المدينة 65
- أمي التي لا تعرف كلكامش 66
- 1981 67
- حمامة عمياء 68
- مرات كثيرة 69

- زوجة جدي 70
- بشيء من الريبة 71
- غرفة النمل 72
- في غرفتي نمل كثير 74
- حياة في رأسي 75
- سبعة جنود لا أكثر 76
- الحافلة 77
- حفلة عرس 78
- بنات ليل 79
- أحاول كثيراً أن لا يموت أحدهم 80
- رصاصة كاذبة 82
- ثلاث جميلات 84
- غرفة النوم 85
- ألعاب خشبية 86
- 1995 87
- الرأس الذي يشبه المدفأة 88
- قراءة جدتي 89
- بيضة فاشلة 90
- عربة الخضار 91
- حديقة المدرسة 92
- الذهاب إلى البحر 93
- الطفل الذي يجلس على الشجرة 94
- بائع الحلوى 96
- جيوب الحوريات 97
- مثلاً 98
- تقشير المنزل 99
- الحصول على حياة ثانية 109
- 1991 ثانية 110

- 1991 ثالثة 111
- الرأس الذي في جهنم 112
- الجلوس قرب البحر مع فتاة جميلة 113
- معجزات الجدة 115
- رجل الفضاء 116
- ساق أبي 117
- العصفور الذي لا يقوى على الطيران 118
- غرفة النحل 119
- الفتاة الجميلة التي تعبر الشارع في بغداد 120
- سارق الأحذية 130
- يمشي وحيداً في المنزل ثوب الأرملة 135
- ظهر مكشوف 140
- السمكة 146
- نصوص السنة السعيدة 155
- ما كان لكل هذا أن يحدث 161
- بيضة الحمامة 167

الإهداء..

حذاء أسود صغير..

مرة تأخرتُ في العودة للمنزل

فذهب أخي حافياً إلى المدرسة..

ثوب العائلة..

أعرف عائلة لا تمتلك سوى ثوب واحد
ترتديه الأم إلى السوق
يلبسه الأب في الذهاب إلى المسجد
ويطير به أطفالها الثلاثة إلى المدرسة
ذات يوم
مات الأب في الطريق
فبقيت العائلة عارية في المنزل..

زجاج أخي..

أخي طفل من زجاج
تخاف عليه أمي كثيراً
لا يلهو عادة على ظهر أبي
عندما نتشاجر مع أولاد الجيران نجعلهُ خلفنا
نحرسهُ حين يركض
وعندما ينام
نخافُ أن ينقلب فتحزن أمي
لا يأكل شيئا سوى ضحكاتنا
ونحن نسرق الطعام الذي لم ينضج بعد من المطبخ
يبرقُ طوال اليوم
لذلك عشقته صغيرات الجيران سريعاً

لم يذهب إلى المدرسة
مخافة أن يرميه الأطفال بالحجر
لا يحب الثياب كثيراً
فيخرج عارياً إلى الشارع
أخي الذي من زجاج
شاهد اليوم جنازة شهيد فانكسر..

دكان الحلاق..

لم نكن نملك نقوداً للحلاقة
لذلك
كان أبي يقص رؤوسنا بمهارة فاشلة
ومع القليل من الدموع
نرتدي ثياب العيد السابق
ونرقص في الشارع
كأسعد أطفال في العالم
وأسرع أولاد أيضا
ذهبوا إلى الحرب
حسناً
هل عرفتِ الآن لماذا أخفض رأسي
كلما رأيت جندياً يافعاً في الشارع
أو طفلاً يضحك في دكان الحلاق..؟

شقوق الملابس..

أبي كان باب البيت
عندما ارتفع
صرنا بلا باب
والحزن يدخل علينا من شقوق الملابس
قال أولاد الشهيد
وهم يغازلون صغيرات الجيران
كخطوة أولى لترميم الباب..

الثوب الذي كان شجرة

لم يكن بيتنا يكفي
كان أبي يجمعنا
الأخ فوق الأخ
الأخت فوق الأخت
ليصنع منا شجرة كبيرة يستظل بها الضيوف
عندما زارتنا الحرب
أخذنا نتساقط واحداً واحداً
من الثوب الأسود الطويل الذي يركض خلف أمي
ولم يتوقف..

كتاب الطيور..

مرة قرأت في كتاب الطيور
أن العصفورة تتزوج بعد نصف ساعة من موت
العصفور
لكن عصافير جارتنا القليلة لم تفعل ذلك
كانت تقول
نخجل من تلك المرأة صاحبة الثوب الأسود
جارتنا التي يموت زوجها في كل حرب
ويأخذ من روحها
قضمة كبيرة ساخنة..

قطعة ذهبية صغيرة..

في يوم ما كانت أمي تمتلك قطعة ذهبية صغيرة
صغيرة جداً
أخذها منها العسكر أيام الحرب
أبي شقي عاماً كاملاً في حقل القمح
ليجلب لها تلك القطعة الذهبية الصغيرة
التي تحولت إلى رصاصة ساخنة قتلت جندياً هناك
أمي الآن لا تتذكر تلك القطعة
لكنها ترى في المنام كثيراً
جثة ذلك الجندي الخائف..

..1994

حين تغني زوجته في المطبخ
أو يناديه طفله الصغير بابا
لم يكن يسمعهما جيداً
لم يكن يسمعهما بالمرة
كانوا قد قطعوا أذنه اليسرى
لأنه ببساطة
لم يذهب إلى الحرب..

قميص في بغداد

حسناً
أنا أتجول الآن في شوارع بغداد سعيداً بقميصي الجديد
ولا أعرف لماذا يحدث ذلك لي في كل مرة
مثلاً
كيف لي أن اغازلكِ تحت قصف الطائرات
وهل ستهرب الصواريخ عندما أقول أحبكِ
وكيف للجدار أن يقع وهو يلامس ظهركِ
وقمصانكِ لماذا هي سعيدة
وأنت تغطينِ بها أجساد الصغار
هل تستمعين لصوت القذائف الآن
هذا صوت رأسي

انتبهي لقطة المنزل جيداً هي تكره الحرب أيضاً
لا تنسي زجاجة عطرك التي توشك على النفاد
ربما العطر يبعد قليلاً تلك الصواريخ
هل أخبركِ عن شيء
أنا لا أعرفكِ
لكن شيئاً ما في رأسي يجعلني أمسك بأصابعكِ
البعيدة الآن
الأصابع التي تصنع الخبز والحساء من قذائف
الطائرات
نسيت أن أخبركِ
أنا سعيد الآن
سعيد جداً بقميصي الجديد
وأنا أتجول في شوارع بغداد..

عامل المقهى..

حزين مثل رجل يدخن نفسه
أو وردة يابسة في كتاب لا تمر عليه الأصابع
أو حقيبة طفل ممزقة تتساقط منها حروف الله
أو فتاة طيبة لم تغير ثوبها منذ شهور
أو عامل مقهى لا يجد من يبتسم له
فقط لأنه يمتلك عيناً واحدة
حزين جداً
حزين..

تنظيف المنزل..

أعرف شاباً يطير كل ليلة من القبر إلى المنزل
يضع الحليب والخضروات في المطبخ
يراجع دروس صغاره
ينظف المنزل جيداً
يبتسم لصورة زوجته الميتة
ويقبل رأس أمه العجوز التي تعبتْ كثيراً من
الأيتام..

قدم جاري..

مرة طلبت من جاري قدمه اليمنى
على أن أمنحه يدي اليسرى
هكذا
كنا نتبادل الأعضاء طوال الوقت
حتى جاء ذلك الصباح الذي طلب فيه فمي
وعندما أرجعه إلي
كانت تلتصق به أحلى قبلة طويلة في العالم..

غرفة الأطفال..

سأحرق البيت بعد قليل
أحرقه تماماً
سأبدأ بغرف الأطفال
ثم الغرف الكبيرة
ستأتي سيارات الإطفاء
وستخمد النيران في دقائق
لكن لا غرف للأطفال في البيت
لا أثاث
ولا غرف كبيرة
سأحرق نفسي فقط
وأقود سيارات الإطفاء إلى جهنم..

الحمامة..

على الباب مكتوب بأنه شهيد
زوجته في المنزل
لا تعبأ لهذا الأمر
فالرجل الذي أحبته كان أبعد من هذا المعنى بكثير
مثل سقف تنام تحته العصافير دون أن ترتجف
وحدها الآن
في طابور التقاعد
مثل حمامة حائرة
يغازلها ذلك الشرطي الأحمق
سائق التاكسي المتصابي
حتى بائع الملابس القديمة وفتيان المدينة الصغار
الجميع يغازلها
وحده هو من يراقب كل هذا
ويضرب رأسه بجدار القبر..

اليتيمة التى تنسى..

وحدي فقط
في نصي القصير هذا
لا أستطيع الخروج منه
إلا والبندقية معي
وحدي فقط
مع الطفلة اليتيمة التي نسيت أن تقول لأبيها كلمة
أحبك..

أربعة طيور..

لو جلبنا أربعة طيور
ووضعنا بأقدامها القليل من الحبال
هل سيطير المنزل..؟
وماذا سأفعل بالأثاث الذي لا وجود له
وبالأطفال الذين تعلقوا بصور الشهداء
وبشجرة البيت اليابسة التي تخجل أن تموت
أقول ذلك
وأنا أتأمل النجوم التي تقترب كثيراً هذه الليلة
فقط لأن وجهكِ ما زال حزيناً..

عندما تهدي إلينا الدجاجة بيضة..

حتى الطعام المحترق من مطبخ أمي
كان يضحك بين أسناننا
لكنه سرعان ما كان يبكي
عندما ينفد الطحين
ثم فجأة تهدي إلينا الدجاجة بيضة
فجأة تهرب الأشجار من البيت
فجأة يعود أبي حزيناً
ليخبرنا بصمت
عن الحرب التي استيقظت في البلاد..

أثاث الحديقة..

منذ ليال طويلة
وأنا أفكر بالعائلة
حفرتُ في رأسي بيتاً صغيراً
أربعة أطفال وزوجة تشبه أمي
بعض الأثاث البسيط
ونصف حديقة
نعم نصف حديقة يكفي
ثم أغلقت رأسي
وعدت أراقب الرصاص
الذي ينهال كثيراً على رأسي هذه الليلة..

كرادة مريم..

وكأني أسير معكِ في كرادة مريم
يعبرنا الجسر.. ولا نعبر
تتقافز من حولنا القوارب والأسماك والبنادق
ثم تطلين برأسكِ من المركبة
تلوحين إلى الجنود في نقطة التفتيش
تهمسين لي:
هذا يشبهك
كل الجنود يشبهونني
يبتسمون كثيراً لكِ
وأنا أراقبهم وحيداً في كرادة مريم

أقود جسدي على صوت سلمان المنكوب
ألعن اليوم الذي خرجتُ فيه من أصابعكِ
وأنتِ ترتدين قميصي الأبيض الذي سأعبر به الجسر
هنا يتوقف المشهد
ثمة جندي
أنجبت زوجته طفلة تشبهكِ
فقط لأنكِ كل صباح
كنت تمرين على نقطة التفتيش
وتخبريه عن روعة بغداد
وأنتِ معي ..

الساحر..

حتى الضحايا
يعودون إلى منازلهم بصناديق خشب
أما أنت
فلا أنت ميت ولا أنت حي
تدخل الغرفة ولا تدخل
تذهب إلى الحرب ولا تذهب
تجلس على قبرك ولا تجلس
تمشي في الشوارع ولا تمشي
لكنك ببساطة ساحر
ساحر تعشقه صور الشهداء
التي ينظر إليها طويلا
ليقضم أنف العالم..

أختي الصغرى..

أختى الصغرى تقول
إنها شاهدت أمي تتحرك في البيت
تتوقف في زواية غرفة الضيوف
تدخل إلى الجدار المتآكل تحديداً
حيث ترقد بهدوء صور موتى العائلة
وبعد لحظة بكاء هائلة
تحركت ثياب أمي
وطارت
إلى المنازل التي لا جدران فيها لصور الموتى..

خمسة طيور على الشرفة..

خمسة أرغفة من الخبز
تتفحصها الأم جيداً في كل مرة
وتخطىء في الحساب
كعادة الأمهات اللواتي فقدن أولادهن في الحرب
توزع الخبز على المائدة
يأكلها الصمت
فجأة
تدخل خمسة طيور
كان أولادها يقدمون لها الطعام على الشرفة..

الطفلة التي تحت الأثاث..

هذه العائلة التي تمشي وحدها في الظلام
ليست عائلة
بل ما تبقى منها
منزل بغرفة واحدة
طاولة عرجاء
وبعض الأغطية اليتيمة
فجأة يتوقف النص
ثمة طفلة تحت الأثاث
تساعد أخاها الرضيع على المشي لأول مرة..

البنت التي لا تحب الجنة..

حسناً
هل رأيتم تلك البنت التي تخطىء دائماً
في اختيار ثيابها البسيطة
البنت بائعة الخضروات
البنت التي لا تحب الجنة
تزوجت اليوم صورة جندي
سقطت من جيب عجوز في السوق..

درس الرسم..

تعالوا مثلاً نرسم جثة
ثم نشتري لها بعض الثياب
ودراجة هوائية جديدة
ثم نجلب أشقى طفل في الحي
الطفل نفسه الذي يتشاجر حتى مع نفسه
نخبره
أوقظ لنا هذا الجسد..؟
يضع أصابعه
يمسح الرسم
ثم يقول:
أولاد الكلب ويهرب..

الكرسي الذي يتحرك في المنزل ..

ونحن صغار
كذبوا علينا كثيراً
قالوا: إن الله يعيش في الأعالي
لكني شعرت به اليوم في منزلنا
تحديدا في غرفة أمي
وهو يصلح كرسيها النائم
فالله يحب الكراسي المتحركة التي تنقل الأمهات من الغرف إلى المطابخ..

ثياب المدرسة..

وأنا صغير
كنا نلعب الكرة ضد فريق الحي المجاور
كانوا يرتدون قمصاناً فضفاضة بيضاء
أحذية رياضية فاخرة
حتى جواربهم كانت موحدة وطويلة
ونحن حفاة
نلبس ثياب المدرسة التي تغسلها أمهاتنا كل يوم
لأننا لا نمتلك غيرها
كانت المباراة طويلة وممتعة وقاسية
ولم تنتهِ حتى الآن
لن تنتهي المبارة..

بائع الحلوى..

رغم نحافته الهائلة
كانت الأرض تخجل منه
وهو يدفع عربة الحلوى
لكنه لم يبع اليوم سوى قطعة واحدة بالمجان
لطفل وحيد عبر الشارع عند الغروب
الطفل أنا
وأبي بائع الحلوى..

النوم مبكراً في الغرفة..

في غرفتي الصغيرة
الكثير من الجنود الذين عرفتهم في حياتي
قمصاني لا تكفي لهم
ولا طعامي
ما يحزنني أني نسيت أسماءهم جميعاً
في غرفتي الصغيرة
أطفئ الضوء مبكراً
حتى ينام جنودي الذين يصرخون في رأسي كل ليلة..

الشجرة..

الشجرة اليابسة التي تقف عند باب منزلنا
أكلتها الهزائم شيئاً فشيئاً
قررت أمي أن نقطعها
وعندما شرعنا بذلك
سقطت من أول ضربة صورة أبي وهو يزرعها
مع الضربة الثانية صورة أمي بثياب العرس
مع الضربة الثالثة
سقطت توابيت أخوتي
وفي الضربة الرابعة
سقطت الشجرة
وبكينا حتى الصباح..

..1991

عندما عاد حافياً من البصرة
الجندي الطيب لم يصدق أمه وهي تنتظره في كراج
النهضة
كانت قد ماتت منذ سنين بعيدة
لكنه شاهدها جيداً وهي تلوح له
ثم اختفت في شوارع بغداد
مثل ضحكة صغيرة
تلاطف جيشاً من الحفاة الطيبين..

دراجة الهواء..

وأنا صغير
كنت أحلم بامتلاك دراجة هوائية
لا لشيء
سوى الهروب بسرعة من حارس مدرسة البنات
كنت أغازلهن جميعاً
بينما أحذيتهن تلاطف ظهري في كل مرة
لم أكن جميلاً بما يكفي
مجرد طفل نحيف وبذيء ومشاغب
عندما كبرت
ركبت الكثير من مركبات الجنود
حملت على ظهري الشهداء والبنادق والجرحى
ظهري نفسه الذي كانت تطارده أحذية البنات

الآن

وبعد هدنة طويلة مع الغزل

ها أنا أقود دراجتي الهوائية

لا لشيء

سوى أن أضحك قليلاً مع حارس المدرسة

الذي مات منذ سنين بعيدة

ومازال صوته في دمي..

قطعة حلوى..

في العاشرة من عمري
وحتى لا أذهب إلى المقهى
اشترى لنا أبي تلفازاً صغيراً
نشاهد فيه كأس العالم في الأرجنتين
وقتها كان نصف بيتنا حديقة
يأتي أطفال الحي جميعاً لرؤية كمبس(*)
كنت لا أدخلهم إلا بقطعة حلوى
فلقد كنت كريماً معهم

* كمبس.. مهاجم منتخب الأرجنتين في كأس العالم 1978

بمرور سنتين تحول التلفاز إلى دبابة كبيرة
كبرنا جميعاً مع القذائف
مات أبي.. ماتت الحديقة
ذهب نصف الأصدقاء إلى الله
أنجبنا الكثير من الأطفال الذي يعشقون كرة القدم
ومازالت الدبابة تطلق النار في البيت..

عظام سوداء..

صديقي الذي فرح كثيراً بعروسه ابنة بائع
الخضروات
عاد إليها بعد ثلاثة أسابيع على شكل عظام سوداء
زوجته الصغيرة أخذت تقفز في مكانها مثل يد
مقطوعة
الأم نامت على خشب النعش
الأب يضرب على رأسه
بعد عام
خرجت من غرفة الزوجة أقدام صغيرة تصرخ بابا
الأخ الأصغر أخذ بكلام أبيه وصار أبا للطفل
فرحتْ الأم الصغيرة بزوجها الجديد
فرحتْ كثيراً

بعد عشرة أعوام نامت الحرب قليلاً
عاد صديقي حياً
طرق الباب
لم يجد الأم
أخذت الزوجة تقفز في مكانها مثل يد مقطوعة
الأب يضرب على رأسه
الأخ الأصغر سقط على وجهه
مثل دموعي وأنا أكتب هذا النص..

كتاب الجغرافيا..

مرة ضربني طفل
بكتاب الجغرافيا على رأسي
طرتُ إلى مدينة أخرى
وعلى سطح بيت لا أعرفه سقطتُ
وجدتُ عائلة بانتظاري
والبنادق تحيط بي من كل جانب
لكن طفلة صغيرة ضحكت لي
قالت:
لماذا تبدو حزيناً أيها الشقي
هنا
اندلعت صفعة الحب
وتوقفت الحرب في دقائق..

حي شعبي..

أنا أعيش في حي شعبي
شعبي جداً
الأشجار قليلة فيه
والأطفال كثيرون
حين ينزل المطر على البيوت النحيفة
تسمع شغف الصغار مع الأمهات في الغرف
وهم ينظرون لآبائهم المعلقين على الجدران
لكن
ثمة أشرطة سوداء
أشرطة سوداء دائماً
تصرخ بشدة في الصور..

القطار..

وأنا صغير
ركبت قطاراً إلى البصرة
كانت أمي تصعده لأول مرة
جلس قربنا شاب يافع ينظر إلينا ويبكي
فقط يبكي
صارت أمي تبكي معه
عندما وصلنا
ارتدى ملابسه العسكرية وغاب في المحطة..

الغرفة..

تخبرني جارتنا الطيبة أن الجنة من نصيبي
تخبرني دائما
بينما الذنوب ترقص على رأسي
مثل قرد جائع حزين
وتتكاثر على سقف المنزل كقبور سوداء وحيدة
قبر كبير للشتائم الهائلة
قبر للسرقات الصغيرة
قبر للغزل الفاحش
وقبر صغير جداً للسكاكين التي ذبحت فيها حياتي
تخبرني جارتنا بالجنة
وأنا أضحك
على القرد الكبير الذي يقفز في الغرفة..

خجل..

لا تغلقوا أبواب المنازل مبكراً
بعض الجثث تزور أطفالها كل ليلة
وبعضها يخجل من ذلك..

حارس مرمى...

أنا حارس مرمى
حارس مرمى فاشل
لا أستطيع صد القذائف عن مدينتي
لا الفقر عن منزلي
ولا حتى الامساك بجثة طفل وحشرها
في تابوت صغير
مرة وجدوا لي مهنة في الجحيم
أمرر الكادحين المذنبين
كنت أنظر إلى وجوههم
أحملهم على رأسي
وأسرع بهم إلى الجنة

طردوني كالعادة من هناك
طردوني من المدينة
طردوني من المنزل
طردوني من التابوت
ولم يطردوني من الحرب
أنا حارس مرمى
مجرد حارس مرمى فاشل فقط..

الخروج من الكوكب..

..1

أنا خارج الكوكب الآن
صوتي لا يصل فمي
مثل رصاصة عالقة في بندقية جندي طيب
أو قبلة من وراء الزجاج على رقبة امرأة عانس
أو ضحكة طفل لا وجه له
خرج هكذا من تحت ثياب أمه
بلا وجه
ولا رأس
رأس يطير الآن خارج الكوكب..

..2

سأقبلكِ في مكان لا يفكر به أحد
على سقف طائرة مثلاً
وهي تطير إلى وجهة لا نعرفها
أو أقبلكِ ونحن نهبط بمظلتين على رأس العدم
أو في مركبة أجرة تائهة تجوب شوارع بغداد في المساء
سأقبلكِ كثيراً
وأعرف أن هذا لن يحدث
لن يحدث أبداً..

في ثماني ساعات..

كنت سعيداً بها
المرة الأولى التي أذهب فيها إلى الحرب
في الحافلة
جلستْ قربي فتاة جميلة
تأملتُ وجهها طويلاً
في ثمان ساعات
تزوجتها
صار لنا ثلاثة أولاد
ومنزل صغير فيها أرجوحة بسيطة
وبعض الدجاجات السعيدة
في ثماني ساعات فقط
عندما وصلنا إلى المحطة
عدت وحيداً إلى المنزل..

هل تريد أن ترى الجنة..؟

هل تريد أن ترى الجنة..؟
ادخل سوقاً شعبياً
اترك باعة الموز والتفاح والأناناس
قف عند تلك العجوز التي تفترش الأرض
وقربها صندوق طماطم مر عليه ثلاثة أيام
تلك هي الجنة..

وحيدات..

هذا الذي ينزل على رؤوسنا الآن
ليس مطراً
بل دموع الأمهات الوحيدات في الجنة
وحيدات في الأعالي
وحيدات في الغرف
وحيدات عند المقابر
وحيدات فقط
وحيدات
وهذا ما يجعلني حزيناً طوال حياتي..

الجسر..

..1

على قبر أبي

ثمة جذع نحيف

في المرة الأخيرة

وضعناه على رؤوسنا

وعندما وصلنا إلى الهاوية

صار جسراً لنا

أنا

والأمهات المريضات

والأيتام الذين يلعبون الكرة في الغرفة..

..2

لم يكن عبور الجسر مستحيلاً
لكن أقدامنا
كانت تخذلنا في كل مرة
تركض أمامنا
مثل طيور عمياء
إلى حروبنا السعيدة..

البيت الذي يطير في المدينة..

شيده أبي قبل أكثر من خمسين عاماً
له سقف يطل قليلاً على الجنة
وكثيراً على جهنم
له قدمان تعرفان جيداً موسى بن جعفر
ومقبرة وادي السلام
أمي تتعثر بالرائحة
رائحة من رحلوا
صارت تمشي في الأزقة على ثلاث أقدام
صديقي يطلب مني دائما أن أقرأ نصوصي في المدينة
وأنا نصف شاعر ليس إلا
نصف شاعر يخاف من الحرب مثل غراب مسكين
لذلك كنت أهرب دائما إلى السقف
سقف البيت
الذي شيده أبي قبل أكثر من خمسين عاماً
وصار يطير ..

أمي التي لا تعرف كلكامش..

أمي لا تعرف كلكامش
لا ابن السليكة
ولا حتى حسين مردان
تعرف أن تطبخ فقط
تذهب إلى السوق
تختار البصل الجيد والخضروات اللطيفة
وتبكي حين تمر جنازة في الشارع
لذلك هي أشعر من هؤلاء جميعاً..

..1981

في يوم الجمعة
حلقوا رأسه بمقص أعمى
طافوا به في المدينة بمركبة مكشوفة
ثم سرعان ما أطلقوا عليه
لم يسلموه إلى أهله إلا بعد أن أخذوا ثمن الرصاص
بعدها بقليل
تجمهر أطفال المدينة عند محلات الحلاقة
وذهبوا صلعانا إلى أمه..

حمامة عمياء..

لم تفعل أمه أي شيء
جلست فقط على الأرض عند باب المنزل
نساء الحي والأطفال جلسوا معها
زوجته لم تجلس
أخذت تركض مثل حمامة عمياء سمعت صوت
رصاصة
بمرور دقائق
اكتشفوا أن الجنازة خاطئة
وأن ولدهم عائد في الطريق
..
..
نهضوا جميعاً
لكن أمه لم تتحرك..

مرات كثيرة..

مرات كثيرة أدخل البيت ولا أجد طعاماً
مرات كثيرة أشعر بالطيران
والمدينة عالقة في ثيابي
مرات كثيرة أنجو من الفشل
مرات كثيرة أفشل في النجاة
مرات كثيرة أكذب على الله
مرات كثيرة لا أستطيع أن أنظر إلى وجه أمي
مرات كثيرة
لكن
ما أن أجلس على رصيف في بغداد
وقدح الشاي بين أصابعي
أعرف بأني رجل محظوظ
لا يقدم ولا يؤخر شيئاً
لكنه أسعد رجل في العالم
مرات كثيرة..

زوجة جدي..

لم تذهب جدتي إلى كردستان
لكنها كانت تقول
أن الناس يبتسمون هناك
كانت تعيش قرب نهر صغير
وحين اشترى أبي بيتاً لنا في بغداد
جاء النهر معها إلى الغرفة
لكنه هرب
في الليلة التي صار فيها للقذائف أجنحة
جدتي لم تذهب إلى الحرب
كانت تراها في الوجوه
المدافع الثقيلة والجرحى وزوجات الجنود
نساء الحي الحزينات كلما ضاقت رؤوسهن
دخلن غرفة جدتي ليضحكن قليلاً
وهي تحكي لهن عن زوجة جدي الثانية في كردستان
كردستان التي لم أزرها قط..

بشيء من الريبة..

بشيء من الريبة
اشتري قميصاً ضيقاً
لا يسع جسد الأرض
أطلب من الفتاة التي لا أعرفها
موعداً عارياً في السرير
أضحك مع الأطفال
أسرق نقودهم
أخبرهم عن الأصابع التي تضغط على الزناد في الجنة
وعن الرجل الذي يدخن وحده في الخندق
والمركبات تمر بسرعة عليه
بشيء من الريبة
لا أكثر..

غرفة النمل..

لا أعول كثيراً على القبلة الطويلة في الشارع
بمجرد أن تنتهي منها
تنهال على رأسك الهراوات والشتائم والنظرات
الغاضبة
يحدث هذا على بعد مدينتين من صديقتي التي تحب
الناس جميعاً
وتحلم بقبلة صغيرة على قميصي
قميصي الذي يكذب مثلي
ويذهب كل ليلة إلى المسجد بآلة موسيقية مرسومة
على صدره

آه

لمن هذه الجنازة التي تمشي على أصابع القتلى؟

ولماذا وحدها العصافير لا تتذمر من بيوت الفقراء؟

وكيف لتلك الفتاة أن ترقص وحيدة في رأسها؟

وهل يمكن أن أعيش سعيداً مع النمل الذي يهجم على غرفتي؟

حسناً

كيف سينتهي هذا النص؟

لا أعرف

ولا أعرف أيضا طعم القبلة الطويلة في الشارع..

في غرفتي نمل كثير..

حلمت البارحة أني عصرتكِ
فتقاطر السكر من جسدكِ
قطرة
قطرة
قطرة
يسقط العمر من حقائب الحرب
ولا يرجع..

حياة في رأسي..

في رأسي دبابة محترقة
في رأسي شتائم فاخرة
في رأسي عطش ناعم
أطفال يمسكون بنهد
خصر يرتجف على أغنية
عجوز تبيع الورد في جهنم
وجثث كثيرة لا تعرف قاتلها وتعرفه
في رأسي أيضا
صفقات خاسرة كبيرة
كبيرة
كبيرة
هي الحياة في رأسي..

سبعة جنود لا أكثر..

لجارنا شارب الكحول أربعة أولاد جنود
قرروا أن يجلبوا لأبيهم زوجة
زوجة لديها ثلاثة جنود
صار في البيت سبعة جنود
في الأسبوع الأول نقصوا واحداً
بعد شهرين فقدوا ثلاثة
ثم
لم يتبق في البيت سوى جندين جريحين
ورجل يشرب الكحول
قرب امرأة حامل..

الحافلة..

في الطريق إلى المقبرة
جلست قربي طفلة صغيرة في حضن جدتها
تحدثنا كثيراً عن الحرب
عن النساء الوحيدات وجثث الجنود التي لم تدفن بعد
وعن العصافير التي تطير قرب نافذة الباص وتبكي
عندما وصلنا
صارت الطفلة عجوزاً..

حفلة عرس..

في حفلة عرس جارنا بائع الخضروات
رأيت الكثير من الأطفال الذين ينتظرون
ما أن وضعنا الطعام حتى هجموا
ثمة طفل لم يتحرك من مكانه
بينما أخذ صديقه يسابق الأصابع السريعة
ليجلب له قطعة صغيرة من اللحم
كان الطفل الجالس أعمى..

بنات ليل..

أحب بنات الليل كثيراً
ليس لأنهن يمتلكن قلوباً عالية
أو يبتسمن كثيراً للناس
بل رأيت إحداهن تحضن في الشارع جندياً حزيناً لا
تعرفه
وتمنح لأطفاله كيساً كبيراً من الفاكهة ..

أحاول كثيراً أن لا يموت أحدهم..

مرة كنت شبحاً طيباً
أصد الرصاص عن الجنود
أجلب لهم الماء
وأحاول كثيراً أن لا يموت أحدهم
في ليلة حاولت الوقوف بوجه قذيفة
لكني تلقيت صفعة قوية
ثم سرعان ما عدت سعيداً
وأنا أساعد الكادحين على حمل الأكياس الثقيلة
كانوا يشعرون وكأنهم يحملون ريش النعام

ذات ليلة شعرت بجوع هائل لكادح لم أره من أسبوع
نزلت إلى شوارع المدينة
وصلت إلى منزله
سمعت عويلاً لم يشبه أي عويل
كان له رائحة تشبه رائحة الخبز
لقد مات صديقي وهو يحمل كيس طحين
بينما كنت أصد الرصاص عن أصدقائه الجنود
ولا أعرف معنى ذلك
لا أعرف..

رصاصة كاذبة..

كلما ضاق رأسي
ذهبت إلى مشفى الولادة
لا لشيء
سوى رؤية تلك الرؤوس الصغيرة
التي تبللها ضحكات الأمهات الجديدات
الأمهات اللواتي سيعرفن جيداً طريق المقبرة
من سينقذني من رأسي هذه الليلة؟
وكيف لي أن أمسك بندقية
وأنا لا طاقة لي على حمل سكين؟

لكني بمجرد أن أسمع نواح حمامة قرب جثة شهيد
أتحول إلى رصاصة سريعة
رصاصة سريعة كاذبة
فأنا لا طاقة لي على فعل ذلك
ولا حمل أي شيء
أنا سعيد فقط
بالجنود يبتسمون لي
على هيئة أطفال رضع في مشفى الولادة..

ثلاث جميلات..

لجارنا صاحب القدم الواحدة
ثلاث بنات جميلات أحببن ثلاثة جنود
الأولى رأت صاحبها لأول مرة وهو يسرق تفاحة
ويمنحها لطفل أخرس يعمل في السوق
الثانية سمعته يغني قرب الدار
الثالثة عرفت من جارتها جرأته في الحب
ثلاث بنات في غرفة
أحببن
ثلاثة جنود في حفرة
ولا أعرف ما ينتظرهن
لا أعرف..

غرفة النوم..

جارنا العجوز نجار ماهر
نادراً ما تفارق الضحكة وجهه
اليوم صباحا وجدته يبكي قرب خزانة جميلة
أخبرني
كل هذا الأثاث لجنود سيتزوجون الأسبوع القادم
والآن عرفت أن ثلاثة منهم لن يعودوا..

ألعاب خشبية..

لجارنا العجوز هواية نادرة
سرقة التوابيت من المساجد
ليصنع منها في الصباح بعض الألعاب الخشبية
للأطفال
مرة سرق تابوتاً صغيراً
فأخذ الأطفال يبكون بحرقة
دخل أحدهم إلى التابوت
لكنه سرعان ما تحول إلى طفلين
هكذا ظل الأطفال الموتى يخرجون تباعاً
ليزداد عددهم في المدينة
جارنا العجوز الآن في السجن
ولا يزوره أحد سوى أطفال التوابيت
الذين كان لديهم هواية نادرة أيضاً
تناول الرصاص ثلاث مرات في اليوم..

..1995

أنا بريء فقط
بريء من الثياب العسكرية التي أحرقتها أختي فوق
سقف المنزل
بريء من الرصاص الذي خرج من بندقيتي ولم يخرج
بريء من سرقة تبغ أبي
بريء من التوابيت التي حملت الأصدقاء
بريء فقط
مثل طفل يرى الموز لأول مرة في السوق
ويسأل
ما هذا المخلوق يا أمي؟

الرأس الذي يشبه المدفأة..

الرأس الذي يشبه المدفأة
هو رأس جارنا بائع الملابس العسكرية القديمة
لكثرة ما يقلب بثياب الجنود
يرى الحرب كلها
فيعود ساخناً إلى صغاره..

قراءة جدتي..

جدتي لا تقرأ جيداً سورة الفاتحة
كانت تشتمنا ونحن نضحك
تشتمنا كثيراً
ثم سرعان ما تشتري لنا الحلوى
الآن
ومن غرفتها الضيقة تحت الأرض
تراقبنا بحزن
ونحن نخطئ في قراءة كل شيء..

بيضة فاشلة..

أحياناً
أحبكِ مثل حمامة تجلس على بيضتها الفاشلة
أو مثل رجل لا يمتلك سوى قميص واحد يغسله
كل ليلة
لكن رأسي البارد مثل فوهة بركان
وقلبي اليابس مثل وجه أرملة
أو حتى جسدي الذي يرقص على الحبل
والجميع ينتظره أن يسقط
لا يهتمون لذلك كثيراً
لا يهتمون..

عربة الخضار..

مثل أي صغير يعشق كرة القدم
تشاجرتُ مرة مع أربعة أخوة بدناء
كانت معركة رائعة
عدت بعدها متورماً إلى البيت
هكذا كبرت
وأنا اتشاجر حتى مع نفسي
وبعد أن تركتْ الحرب أورامها في صدور الأمهات
رأيت أحدهم وهو يدفع عربة خضار في الشارع
ابتسمت له
فسقطت منه دمعة كبيرة أغرقت المدينة
وعلى ظهر الدمعة رأيت ثلاث جنائز لأربعة أخوة
بدناء
كانوا يضربوني وأنا صغير..

حديقة المدرسة..

حين كتب الأستاذ كلمة «حرب»
لم يهتم الأطفال كثيراً لذلك
كانوا ينتظرون الفسحة طويلاً
بعض الماء والعصير والشجار الجميل في الحديقة
عندما كبروا
وجدوا أنفسهم فجأة في الخنادق والتوابيت ومباني
التقاعد
والرصاص يطادرهم
يطاردهم فقط
دون أن يهتم كثيراً لذلك
الأستاذ الذي كتب كلمة «حرب» وأخذ يبكي طوال
الدرس..

الذهاب إلى البحر..

لست إلها يا جدتي
لا تطلبي أن أعيد أولادك إلى الحياة
لا تطلبي مني أي شيء
أنا مفجوع مثلك
بتلك الجثة الهائلة التي سنقضي أعمارنا في دفنها
الطقس لذيذ الآن
لماذا لا نذهب إلى البحر قليلاً..

الطفل الذي يجلس على الشجرة..

مرة وجدت أمي طفلاً ضائعاً في السوق
كان دميماً وحزيناً ويبكي طوال اليوم
خاف منه الأطفال كثيراً
يتسلق جدران المنزل، يضحك قليلاً
تحط الطيور على رأسه
ويجلب لأمي كل يوم تفاحة صغيرة
لا يتكلم كثيراً.. فقط كلمات لا نفهمها
عندما مرضت أمي
وجدناه على أشجار المشفى يبكي
كبرنا ولم يكبر
لكن صار جميلاً مثل طفل يذهب لأول مرة إلى المدرسة
أو مثل زوجة عاد حبيبها من الحرب

هكذا كان الطفل

الطفل الذي وجدنا بالصدفة نقش النبوة على ظهره

يا الله

كم من الأنبياء الصغار الآن

في الأسواق وإشارات المرور وتحت قصف

الطائرات؟

بائع الحلوى..

عندما كنت طفلاً أبيع الحلوى عند باب المدرسة
مرت بقربي مركبة جنود
كانوا يبتسمون بدهشة
وخلف وجوههم حسرة كبيرة
ركضت وراء المركبة، تسلقتها، صرت معهم
ونحن نضحك، نضحك، نضحك
بعد ساعات وصلنا إلى الحرب
قطع الحلوى كانت تبكي
كلما سقط جندي
كنت أركض إليه
أضعها في فمه.. فيشفى
هكذا صرت أوزع الحلوى على الجنود والأعداء معاً
توقف الرصاص لدقائق
ثم عاد بسرعة كبيرة
وأنا جالس في مكاني قرب باب المدرسة..

جيوب الحوريات..

أن أتكلم مع الشيطان قليلاً وكأنه صديق طيب
أو أطير فوق مؤخرة جهنم
أحصل في السرير على فتاة عمياء لا تسأل من أنت
أو أحمل على ظهري كل الأمهات المريضات
أجلس لدقائق في الجنة لأنقل أخبار الشهداء إلى
الزوجات
أو أقود عارياً دراجة بخارية سعيدة
أملأ كل جيوبي بالحوريات
أو أصرخ في وجه المعلمة التي تضرب الأطفال في
المدرسة
أحصل على قميص أبيض من خزانتكِ
أو أطبخ لكِ بعض الحزن
لكن كل ذلك لم يحدث
حظيت فقط بسقف مفتوح في غرفتي
أرى منه السماء كلها
وأضحك على كل شيء..

مثلاً..

يوماً ما سأبهر هذا العالم
مثلاً
أصفع أجمل فتاة في المدينة ثم أحضنها
أو أشتري الكثير من الأطراف الاصطناعية
إلى الفتيان الذين قفزوا من الجسر حتى حقول الألغام
أو أدخل في بيضة عصفور ملاطفاً ذلك الجنين الذي
سيكرهني حتماً
بعد أن يرى ثيابي العسكرية
سأنام مع عربات الباعة كتعويذة رزق
أو في كتب المدرسة كصورة طاغية
لكن
أنا مريض يا أمي
مريض
والدواء في المقبرة..

تقشير المنزل..

..1

ماذا لو كنت دراجة هوائية خفيفة

يصعد الأطفال على ظهري

ويطيرون في الأزقة القريبة من المنازل

هكذا ينتهي الأمر

أمري

بعد سنين بعيدة

كقطعة أثاث قديمة خلف البيت..

..2

على جدار الغرفة أرسمُ سريراً

على السرير امرأة

على المرأة طفل يضحك

على الطفل سقط الجدار

كانوا قد قصفوا البيت وأنا ارسم..

..3

تقشير المنزل

هذا ما أفعله كل عشر سنين

فتخرج الغرف خالية من الأطفال

خالية من التوابيت

خالية من الرائحة

خالية من الأثاث الذي باعه أبي من أجل خمسة كيلو

غرامات من الطحين..

..4

فقط لأنكِ مررتِ من هناك

صار للينابيع معنى

أتحدث عن الحرب هنا..

..5

كم نجمة تدخل الليلة إلى غرفته

كم نبياً يركض

كم أباً يشق ثوبه

أقصد غرفة الشهيد الذي لم تنجب زوجته بعد..

..6

قالوا

إن الأب يلتقى بأولاده في الجنة كان أو جهنم

لكني لا أقوى على ذلك

لا أقوى على رؤية وجه أبي

قال لي في أيامه الأخيرة

لا تدع إخوتك يذهبون إلى الحرب

لكنهم ذهبوا

وعادوا بصناديق خشب..

..7

مرة ضحك علي أطفال الجيران

قالوا:

عندما تقبل تلك الفتاة الصغيرة

نعطيك قطعة حلوى

قبلتكِ

ولم أجد رأسي بعد ذلك..

..8

في نهاية الشارع
ثمة بيت يهتز منذ ثلاثة أيام
في نهاية الشارع
ثمة أب مات منذ ثلاثة أيام..

..9

إصبع صغير أنقذني من الحرب
فلقد ولدتني أمي بتسع أصابع
هكذا صار الشبان يقطعون أصابعهم الصغيرة
ويعودون إلى الأمهات صامتين..

..10

فجأة تحول المنزل إلى مركبة فضاء
فجأة سقطتْ المركبة على رأسها
فجأة تبعثر الأولاد في الصناديق
هكذا وجدتُ نفسي معلقاً بين الأرض والسماء
هناك رأيتكِ
فسقطتُ..

..11

السبورة التي تعلوها صورة الطاغية
رسم الطفل عليها مقبرة
فهرب
التلاميذ من المدرسة..

..12

لا أفرح كثيرا بالولادات الجديدة
أبكي فقط
وأنا أنظر إليهم
أبكي..

..13

عادة
في الظهيرة اللاذعة
أمد حبلا بين سقف منزلنا وأعلى بناية في المدينة
ثم أمشي عليه
هذا أهون علي من قول كلمة أحبكِ.

..14

متى تطلبين يدي
يدي المقطوعة.

..15

بعد خمس صغيرات جاء الولد

بعد خمس أرامل مات الولد

الولد نفسه الذي كان يسرق لي الهواء

لأبقيه حيا في القصيدة..

..16

لم أحمل مسدساً في حياتي

أنا ببساطة

رصاصة باردة جداً

تنام سعيدة

في حضن جدار الرمي..

..17

الملائكة تبدأ عملها بعد قليل

من سيوصل لهم كلمة أحبكِ..

..18

مرة فكرتُ أن أدعوكِ على القهوة

فتذكرتُ صديقك الشهيد

الذي خرجت دمعته من الفنجان

في موعدنا السابق..

..19

أنا ميت على صوتكِ

أقصد

أصوات الجنود السعداء

بالطفل الجريح

الذي عاد يلعب في الشارع..

..20

أنا الآن على سقف المنزل

أصطاد نظرات الشهداء الذين لم يودعوا أطفالهم

لكن السماء خالية

خالية جداً

ماذا تفعل كل هذه النجوم في غرفتكِ..

..21

من أراد أن يرى يتيماً يضحك

فلينظر إليّ

أنا الذي تسقطني أصغر حصاة في الطريق..

..22

لم يتحرك الأب من مكانه

عندما قالوا له

نريد ثمن الرصاص الذي قتلنا فيها ولدك..

الحصول على حياة ثانية..

ماذا لو حصل الموتى على حياة ثانية
الجنود مثلاً
هل سيعودون إلى الحرب؟
بائع الحلوى الذي مات دون أن يحصل على غرفة
واحدة
الفتاة التي لا تجد ثمن الدواء لأمها المصابة بالربو
الطفل الذي يزحف بلا قدمين ولا كرسي متحرك
وتلك العجوز التي تحمل على ظهرها منازل الشهداء
هل يفكرون في العودة؟
وأين سيذهبون في هذه الحافة المدببة من العالم؟
آه
الشمس قريبة من رأسي
وما ألذ الشاي في بغداد..

1991 ثانية..

في المشرحة
لا يعبأون كثيراً بأشكال الموتى
ولا بأحذيتهم العسكرية التي تركت وشماً كبيراً على
أقدامهم
مثل ربة العائلة
وهي تطبخ الخضروات التالفة
كحساء نادر لصغارها
كانوا ينظرون إلى بعضهم
ولا ينظرون
الصغار والجنود معاً
آه كم هو لذيذ الطريق من الكويت إلى بغداد
لكنه لم يكن كذلك صبيحة ذلك اليوم..

1991 ثالثة..

مرة سرقت بيض دجاج الجيران
قمصان أولادهم المتروكة على السطح
والكثير من الدمى المستعملة
أصبح الدجاج يكرهني
يكرهني جداً
ثم صار يحبني
بعد أن عرف أني يتيم
أبي وأمي يتيمان أيضاً
مثل المنزل والشارع والمدينة
الذين كانوا يبتسمون بلطف شديد
إلى قلبي المتروك على حبل الغسيل
وهو يلتقط ببراعة بيض دجاج الجيران..

الرأس الذي في جهنم..

ما يزحف على جسدي الآن
ليس ذنباً من معصية هائلة
أو قبلة سريعة في غرفة حزينة في بغداد
ما يزحف على جسدي الآن
شيء خفيف كمشاجرة بين طفلين
وثقيل مثل نبي بلا ثياب
شيء تعرفه أمي جيداً
كانت تقول:
لماذا تزحف على جسدك يا بني
وتنسى رأسك في جهنم..

الجلوس قرب البحر مع فتاة جميلة..

ربما تجلس الآن على البحر مع فتاة جميلة
تعشق بسرعة جارتك معلمة الموسيقى
أو البنت الطيبة التي تعمل في البقالة التي تشتري منها
التبغ والحليب
ربما يذهب عنك ألم الرأس
ولم تعد تتحسس جسدك مثلما كنت تفعل بعد كل
انفجار
سيصبح شكلك جميلاً
وأنت تقود دراجتك الهوائية في الحدائق وبحضنك
كتاب تعلم الإنكليزية
ستكون سعيداً وهادئاً ولذيذاً

لكنك قبل أن تضع رأسك على الوسادة
ستأتيك المعجزات كلها دفعة واحدة
معجزة الطفل الذي يلوح لك عند إشارات المرور ولم
تعد تراه
معجزة أن ترى جثمان شهيد
معجزة بائعة الخبز التي تقول لك «الله يساعدك يمه»
معجزة الأصدقاء الذين يحضنون حبيباتهم تحت
نصب الجرية
معجزتك.. وأنت تطير
تطير فقط
تطير بعيداً
والأرض على ظهرك..

معجزات الجدة..

جارتنا العجوز جداً
تكاد لا تتحرك من فرط أحزانها
لكنها بمجرد أن تضع أصابعها قليلاً على جبهتي يهدأ
رأسي
تضع أصابعها على فم الرضيع.. يكف عن البكاء
تضع أصابعها على الشجرة.. تبيض الحمامة
تضع أصابعها على جهنم تصير جنة
لكنها لم تستطع إعادة روح ولدها الصغير
وهو ينام بملابسه العسكرية في النعش
لم تستطع ذلك
لم تستطع..

رجل الفضاء..

الجلوس على سقف منزل من غرفة واحدة
يشبه كثيراً الجلوس على مركبة فضائية
مثلاً
سترى النجوم الجائعة وهي تنتظر الطعام القليل
ينضج في الغرفة
بينما صغارك يدفعون الشمس إلى الجنود الضائعين
سترى الطيور تحط على تلفازك العاطل
بينما ريش زوجتك يطير من فرط ثوبها الأسود إلى
قارات العالم أجمع
ستضحك كثيراً على السقف
ستبكي قليلا في الغرفة
خشية أن يرى الأولاد دموع أبيهم وهي تملأ السماء..

ساق أبي..

مرة كسرتْ ساق أبي مركبة سريعة
عاد إلى البيت حزيناً
بعد أسابيع
أصبح حزيناً جداً
قال: كنت أنوي أن أشتري لكم تلفازا مستعملاً
لكن المركبة السريعة أفسدت حلمي
الآن
وبعد كل هذه الطيور الميتة التي أحملها على ظهري
ما زالت المركبات السريعة
تسير دون هوادة على حياتي المستعملة
وتكسر كل شيء..

العصفور الذي لا يقوى على الطيران..

أحسدكِ كثيراً
وأنتِ تنظرين إلى النجوم
من ثقب صغير في قميص شهيد
أحسدكِ
وأعرف
أن المدينة التي لا تبتسم فيها الأنثى ليست مدينة
وأن الرصاص الذي يركض خلفكِ سيندم كثيراً على
ذلك
وأن الأيام التي نحملها على رؤوسنا
ليست سوى ريشة يابسة
سقطت من عصفور لا يقوى على الطيران
لكنه سيطير
عندما أحسدكِ
وأبتسم لكل ذلك..

غرفة النحل..

البيوت المتلاصقة مثل غرف النحل
الحزينة مثل أب لا يجد ثمن الدواء
والوحيدة مثل ثياب رجل ميت
هي نفسها من تئن كل ليلة
وتحصي خسائرها
جثة فوق جثة
حتى يصبح لدينا بعد انتصاف الليل
جبل وحيد من الجثث
الجثث التي لا تتوقف عن النزف
مثل كيس طحين مثقوب يحمله الآباء كل ليلة إلى
غرف النحل..

الفتاة الجميلة التي تعبر الشارع في بغداد..

..1

وهو يطير من حفرة إلى أخرى
الجندي النحيف الذي لا يملك أجنحة
يفكر كثيراً
بالفتاة الجميلة التي تعبر الشارع في بغداد
حتى أنه لم يطلق الرصاص على أحدهم
أحدهم الذي يفكر أيضاً
بالفتاة الجميلة التي تعبر الشارع في بغداد..

..2

في منزل جارتنا العجوز
ثمة شمعة صغيرة لم تنطفئ منذ ثلاثة شهور
قالت: إن ولدها الجندي أوقدها في آخر ليلة له في
المنزل
ولم يعد بعد ذلك..

..3

أكره العطش كثيراً
لكن عندما رأيت جندياً لم يتذوق الماء منذ نهارين
ويركض في العراء مثل نهر جريح
صرت أحب العطش..

..4

لجارنا بائع التبغ
فتحة صغيرة في القلب
مرت الهزائم منها ولم يسقط
لكن
قبلة صغيرة من فتاة لا يعرفها
لديها فتحة في القلب أيضا
جعلته أسعد رجل في العالم..

..5

أحبكِ
فيغفر الله ذنوب الناس جميعاً
يعود دجلة إلى صباه
يكف الليل عني
وتهرب الحرب من النافذة..

..6

سعيد مثل طفل ينطق لأول مرة كلمة بابا

حزين مثل أب لم يسمع ذلك..

..7

سيسقط علينا البيت

ليس من قصف الطائرات

لا من عمره القديم

ولا حتى من نيزك تمرد على السماء

سيسقط فقط لأنه سئم من كل أحزاننا

صبر كثيراً علينا

ثم قال بلهجة غريبة

أنا أكرهكم..

..8

قراصنة الحي الصغار

سرقوا عشر قطع من بائع الحلوى وهربوا

في اليوم الثاني خجلوا من فعلتهم

جلسوا قربه وأخذوا يغنون له ويرقصون

هكذا

مثلما كنت أفعل

وأنا أطلق النار على الأعداء

وأبكي عند جثثهم..

..9

النجمة الصغيرة التي تحب أمي
اشتراها أخي الصغير من السوق
قالت لنا بسعادة هائلة: جئت لكم بكوكب جديد
هكذا
عاشت معنا وهي تحلم
ولم تكن سوى نجمة مسكينة ضائعة
في مدينة يهتدي أولادها إلى النجوم من وميض
القذائف..

..10

الفردوس
ليس سوى أم ترضع بثديها الوحيد أطفال المدينة
الذين ولدوا بساق واحدة
كاختصار سماوي لروعة الحرب..

..11

لساني لا يطير
هكذا تعلمت
أن أصمت في الخراب
مثل قط أعمى
لكن شيئا ما يتحرك في فمي
أنها جهنم
جهنم التي أحب
جهنم التي أكره..

..12

أرى الآن حديقة هائلة
فيها الكثير من الينابيع والنساء العاريات والطعام
أراها جيداً
وأنا جالس عند باب الدار في حينا الشعبي
وقربي كيس قمامة كبير..

..13

مثل قديس لا يعرف طعم الأنثى
يجلس وحيداً في خندقه البعيد
متأملاً أضواء المدينة
ستخرج الفتيات للتنزه
الأمهات إلى الصيدلية
الزوجات لشراء علب المكياج
الأزواج للثرثرة في المقهى
وحده هناك
من سيجمع حياته في كيس صغير
ثم يطلق ضحكة كبيرة
كبيرة جداً
تسمعها كل المدينة..

..14

بعد أن خسرنا كل شيء
جلسنا على الأرصفة
نتأمل روعة الطقس
قرب رضيع يطير فوق رؤوسنا
مثل كوكب جديد..

..15

عندما يتعلق الأمر بحزن فتاة لا تملك علبة مكياج
أو شجاعة جندي لا يستطيع دفع إيجار منزله
أو حتى روعة طفل يبيع الأكياس بعد المدرسة
أعرفُ جيداً أن الملائكة ستهرب من المدينة
ولم يتبق فيها سوى ملاك صغير
يخرجُ من كتفكِ الأيسر
يساعد الفتاة والجندي وطفل السوق..

..16

حين طلبت من الله أن أرى الجنة

أشار إلى وجهكِ..

سارق الأحذية..

..1

عندما كنت صغيراً

سرقت من المسجد الكثير من الأحذية

حين كبرت

لم أجد المسجد..

..2

الخراب الذي نراه

ليس سوى عدسة لاصقة

نحن في الجنة الآن

في الجنة..

..3

الأمر ببساطة جداً

طير أعمى في قفص مفتوح..

..4

لا أعرف لماذا طلب أبي من عامل البناء

أن لا يضع باباً أو نافذة لغرفتي

أربعة جدران كاملة وسقف

قال لي: لا تقلق يا صغيري

سأفتح لك باباً في أرض الغرفة

ومنذ ذلك الوقت

وأنا أنام مع الشهداء..

..5

أمي التي لا تعرف قصيدة النثر
ولا شعر أبي تمام
بمجرد أن تردد موالاً خرافياً لداخل حسن
ينضج الطعام سريعاً
يزداد عدد العصافير على شجرتنا اليابسة
ويعود أخي الصغير من القبر..

..6

ماذا لو خرجتْ بملابسك الداخلية إلى الشارع
ستجد المدينة عارية من الناس
ثمة عجوز وحيدة قرب ثلاجة الموتى
أطفال ينتظرون الطعام في مآتم لا تنتهي
رؤوس صغيرة تحملُ جثث الآلهة
وثمة ملائكة
لا أعرف ما تفعل في المدينة بعد كل هذا؟

..7

لقد فعلنا الكثير في يوم واحد
صباحاً رأيتكِ في جنازة طفل وحيد لأمه
في الظهيرة ركبنا الحافلة معاً
وعند الغروب
لمحتكِ تضحكين مع بائع الخضار العجوز
كل هذا
ولم أقل لكِ كلمة واحدة
في مدينة فعلوا بها الكثير
الكثير
في يوم واحد..

..8

جلبت له البلاد

جلبت له الماء

جلبت له الأغنية

ولم يتحرك

وحين جلبت له حزمة أطفال لا يعرفهم

تحرك قليلاً من مكانه

صار يشير

إلى عربة حلوى تقف وحيدة مع صاحبها في الشارع

جثمان الشهيد..

يمشي وحيداً في المنزل ثوب الأرملة..

..1

لا أستطيع الوقوف قليلاً
ولا المشي لبضعة أمتار
أنا قبر
خرج من الأرض على شكل ندبة..

..2

يحبها أبي كثيراً
البلاد التي علمتنا القفز بلا ساقين..

..3

لقد رقصنا بما فيه الكفاية
لم تعد أقدامنا صالحة لأي شيء
نحن نزحف الآن
نزحف في الحفلة..

..4

يمشي وحيداً في المنزل
ثوب الأرملة..

..5

سقطتُ على وجهي في الشارع
عندما قالت لي صباح الخير..

..6

نحن ثقوب النايات

لا أكثر..

..7

أنا ريشة يابسة في قفص

فلا تطلبوا مني أن أطير..

..8

تقول أمي التي لا تعرف القراءة والكتابة

كيف يمكن لشاعر أن يحمل مسدساً

ويطلق النار على العصافير في ساحة الأندلس؟

..9

للقتلة

أطفال أيضاً

سيكبرون ذات يوم

ويلعبون

مع أولاد الشهداء..

..10

مرة

جاء الطاغية إلى منزلنا على هيئة صورة

مزقها أبي

وهي توزع علينا البنادق..

..11

في جنائز الأولاد

لم نجد الجثث..

..12

كرة مثقوبة

كرة مثقوبة فقط

هذا ما أحلم به وأنا طفل

طفل يعرف جيداً

أن أمه لا تستطيع أن تشتري له كرة جديدة..

ظهر مكشوف..

..1

أنا قنفذ فقط ليس أكثر
فكرت أن أنزع الأشواك عني
لكن جسدي صار يموء
يموء ببطء
مثل أم فقدت طفلها في الكارثة
فكيف أنزع أطفالي من ظهري
أنا قنفذ فقط
أحب السلام والنساء والشاي في المقاهي
ولا أجد من يحضنني في الشارع..

..2

الإصبع الذي وجدتها نهار اليوم
أخذت تطول شيئاً فشيئاً
بعد نهارين
صارت في غرفتي الصغيرة
شجرة كبيرة من الأصابع
لكنها
كلما سمعتْ أمي وهي تردد في صلاتها الله أكبر
كان تهرب من الشجرة
وتركض مذعورة إلى الشارع..

..3

لا أعرف

أشعر أن المدينة تملكُ رأساً هائلاً

وأقداماً كبيرة

لكنها

لا تقف

كم هي جميلة أنثى الفيل..

..4

نفدت بضاعته ولم يضحك

بائع العكازات في المدينة..

..5

أظفاره تطول شيئاً فشيئاً

الطفل عند إشارات المرور..

..6

أريد أن أنام ليوم كامل

دون أن أتحول إلى سمكة مذعورة

لا تعرف ما تفعل على الرصيف..

..7

ليس لدي ما أقوله لهذه المدينة
ليس لدي ما أقوله لكم
ليس لدي أي شيء
سوى هذا الدخان الذي يطير من رأسي
أنا مجرد عود بخور
عود بخور يحترق على قبر شهيد
قال كل شيء ومضى..

..8

لا أسماك في رأسي
لا رصاص يمر
ولا طيور
أنا كيس رمل..

..9

أبي يصرخ في قبره
أظن جندياً وحيداً لأمه
أصابتهُ الآن رصاصة..

..10

ليس لها قلب
أكياس العقاقير التي تحملها أم مريضة..

السمكة..

..1

في الصباح
بمجرد أن رأيت جريحاً في طريقه إلى المشفى
صار جسدي ينزف
فماذا سيفعل جسدي حين يرى الشهداء؟

..2

لا أعرف لماذا أحب أن أمشي حافياً في الشارع
ربما حتى لا يشعر ذلك المجنون بأنه وحيد في المدينة
المدينة التي ترتدي الكثير من الأحذية
ولا تهتدي إلى الطريق..

..3

طائرته الورقية التي خانته مع الريح

وهو طفل

ما زال خيطها في يديه

يده التي تركها هناك على الزناد

وصارت تطير..

..4

يرسمُ على جدران الغرفة أنثى

ترسمُ على جدران الغرفة رجلاً

رجل وأنثى يركضان إلى بعضهما على الجدران..

..5

مرة سرقت من المسجد عشرة مصابيح كبيرة
اشتريت بها كيساً صغيراً من الطحين
وزعته أمي على الجيران
في المساء
كان الخبز يضحك
يضيء الغرفة لنا
مثل طفل يمشي لأول مرة بين والديه المكسورين
ويبتسم..

..6

حزين مثل طفل لم يمنحه الله سوى ساق واحدة
يرى الأطفال يركضون..

..7

يمتلكُ رقبة زرافة

وظهر مثل قبعة السلحفاة

لذلك كان يرقص

يرقص كثيراً

وهم يدحرجونه من حرب إلى أخرى

صديقي بائع التبغ

الذي يضحك قرب طفله

ليعلمه فقط

روعة الجلوس على الأرصفة..

..8

كنت أرى التفاح في العربات
أركض خلفه
يضربني البائع.. يشتم أمي.. أسقط
أعود جريحاً إلى البيت
وفي يدي تفاحة تنتظرها أختى الصغرى
فيضحك صبي في الجهة الثانية من العالم
كان يسرق التفاح لأخته الصغرى
ويبكي.. مثلما كنت أبكي
وأنا أرى أسنان أختي السعيدة..

..9

كم يتطلب منه ليطير بجناح واحد
كم يتطلب منه لينام قليلاً فقط
كم يتطلب منه ليعرف أن المدينة بخير
كم يتطلب منه ليوقف تلك الرصاصة عن صدر ابنه
كم يتطلب منه ليبصر جيداً ظهور الأمهات التي
تقوست بما يكفي
كم يتطلب منه من الجنائز
ليفهم أن الجنة لا تستحق كل هذا
كم يتطلب منه؟

..10

مرة وضعتُ كيساً أسود على رأسي
وتجولتُ في شوارع المدينة
كنت أحسبُ أن الناس ستشير إلي
لكني وجدتُ الأكياس الحمراء والخضراء والزرقاء
والصفراء
تلبس رؤوس الناس
فعرفتُ أن المدينة تفكر برأس واحد..

..11

الأولاد الذين حلموا بسقف بيت وحديقة صغيرة
تركوا خلفهم أكياس عقاقير الأمهات
وصعدوا إلى الفتيات الكسولات في الأعالي
عندما وصلوا هناك
اشتاقوا إلى النساء اللواتي لا يعرفن علب المكياج
وإلى الأطفال الذين يلعبون الكرة حفاة في الشارع..

..12

المرة الأولى التي رأيت فيها الله

كنتُ جهنم فاشلة

المرة الأولى التي رأيت فيها البحر

كنتُ سمكة عمياء

المرة الأولى التي رأيت فيها الجنود

كنتُ رصاصة

المرة الأولى التي رأيتكِ فيها

كنتُ هؤلاء جميعاً..

نصوص السنة السعيدة..

..1

مرة في شوارع بغداد

قلت لفتاة لا أعرفها

ما رأيك بفنجان قهوة سريع في أزقة القاهرة

ضحكتْ

ضحكتْ كثيراً

تركتْ أمر قدميها الحافيتين

وثيابها التي لم تغيرها منذ عام..

..2

طفل وحيد على سور المدرسة

وحيد ونحيف وخائف

والجميع ينتظره أن يكبر

الأم لينجب لها الأحفاد

الأب ليصبح عاملاً ماهراً

والوطن ليكون شهيداً

لم يعرف الثلاثة أنه كان ينظر إليكِ فقط

وأنتِ تمرين بهدوء إلى السوق مع الوالدة..

..3

مرة رقصت في عرس جندي لا أعرفه

رقصت كثيراً

رقصت

حدث ذلك منذ سنين بعيدة

بعيدة جداً

ومازلت أرقص ..

..4

الطفل الذي كان يسرق دجاج الجيران

يمزق حقائب أصحابه

وينزع قميصه كل صباح في الشارع

ويركض

فقط يركض

صار جندياً

ينزع قمصانه للجرحى

ويركض غاضباً على الأعداء..

..5

وددت لو كنت مزارعاً سومرياً مثل أبي
لكن ذلك لم يحصل
أنظر إلى نفسي في شاشة الهاتف
فأرى نصف فلاح
يلتصق بنصف جندي
ونصف ثالث لا أعرف ما يفعل بجسدي
سوى الضحك ببلاهة
على أنصافي الأربعة ..

..6

في ثلاثة أمتار فقط
يمكن أن أحول الغصن اليابس إلى شجرة
كرسي الإعاقة المتحرك إلى سفينة فضائية بأصابع
طفل
ثلاثة أمتار فقط
المسافة بين قبر أمي وأبي..

..7

على كرسيه المتحرك
يقضي الأب نهاره عند باب المنزل
اليوم صباحاً لم يجدوه
قالوا إنه تعب كثيراً من انتظار أولاده الجنود
جلس في غرفته
مثل نسر جريح
يرى السماء صغيرة من كرسي متحرك..

..8

كل ليلة
لا أعرف أين يذهب سقف المنزل
ما أعرفه فقط
أنه يحاول البحث دائماً عن جدران سعيدة لنا
واليوم كانت ليلته عند منزل الشهيد الذي ترك
لزوجته خمسة أولاد مكفوفين..

..9

اليوم رأيت جرحاً هارباً يركض في الشارع
كان حزيناً
قال: ولدتُ في جسد جندي نحيف جداً
لم يتبق فيه سوى قطرة دم واحدة
رأيت فيها أولاده يلعبون..

..10

الأب الذي جلبوا ولده الصغير صامتاً
وجد نفسه مضرجاً برصاصة قفزت من جسد ابنه
لكنه نهض مرة أخرى
عاد إلى ما يحب
الابتسام طويلاً في وجوه الناس..

ما كان لكل هذا أن يحدث..

..1

كل ليلة

تدهشني كثيراً

مائدة الطعام التي تنزل إلى غرفتي من السماء

فأنا بالعادة رجل مجنون

لا ناقة له في الدين ولا أمل

لكن

كل ليلة يزورني الشهداء

ويتركون في رأسي إلى الأمهات

رسائل حب طويلة..

..2

لا يفصلني عن جهنم
سوى خيط رفيع
عبرت عليه دبابة ميتة..

..3

طفل بساق واحدة
طفل بيد واحدة
طفل بعين واحدة
طفل برئة واحدة
كانوا جميعا هناك
قرب أعضائهم التي صارت طفلاً خامساً
طفلاً خامساً تحت الأرض..

..4

مثل نيزك أعمى يحمل كوكباً فاشلاً

يمشي الطفل الذي فقد أباه في الحرب..

..5

لا أعرف

لم أجد من يصفق لي الآن

أنا تمثال الحديد الذي كنت مدفعاً

آه

ثمة من يصفق هناك

يصفق

ولا يصفق..

..6

ثقيلٌ مثل جبل ميت

أو حزن جندي لم ير أمه منذ عام..

..7

الله يضحك

عندما يسرق طفل ألعاب أخوته الصغار

يضحك أكثر

عندما ترقص الأم المريضة في عرس الولد

وترقص كثيراً

كثيراً

عندما وضعوه تحت التراب

الله لا يضحك عندنا

لا يضحك..

..8

رأسي الساخن
يشبه رأس العصفور كثيراً
ولا أعرف ما تفعل كل هذه الجبال عليه
لا أعرف ما تفعل
رغم ذلك
ما زالت أزرار قميصكِ تشير إلي
مثل طفل يركض لأبيه الجندي
ويبتسم..

..9

مرة كانت الأرض عمياء
فخلق الله الجنود
على شكل مصابيح..

..10

في فمي ذئب
على رأسي حمامة
أنا ساحة قتل..

بيضة الحمامة..

..1

أنا ولدت بساقين

وحين كبرت.. لم أعثر عليهما

قال الجندي..

..2

لا أعرف شيئاً عن الحرب

لكن الله

خلقني رصاصة..

..3

الجنة تحت أقدام الحقيبة
هذا ما تبقى من الأم بعد الانفجار
حقيبة مدرسية صغيرة
كانت تحملها وهي عائدة من السوق
لطفلها المشاغب اليتيم..

..4

تبتسمين
تخرج صغار العصافير من بيوضها
وتستيقظ الجنة في بغداد..

..5

اليوم رأيت الله

بصورة طفل وضع أصابعه على جثة أبيه المقتول

نهض الأب

سقطت الأم

وركض الطفل إلى الشارع يلعب..

..6

خطأ في التمرير

خطأ في تمرير القبلة

خطأ في تمرير الصرخة

خطأ في تمرير الحياة

خطأ في التمرير ليس إلا..

..7

يده على الزناد

وفمه على رقبتكِ

الجندي الذي رأى صورتكِ في الجريدة

وأنتِ تقرأين شيئاً عن الحرب..

..8

كمن يركض في الظلام ويعثر على نجمة

النجمة أنتِ

وأنا الظلام الذي يركض..

..9

في روحي مسامير صغيرة وألواح خشب
أنا نعش..

..10

في الثلاجة موتى أيضاً
لا تخرجوا الفاكهة منها
ربما جاعوا الآن..

سيرة ..

قاسم سعودي،

شاعرمن العراق، مواليد بغداد 1969، له المجاميع الشعرية: "**رئة ثالثة، مصباح مغلق، ما لم يره الراكض، كرسي العازف، حين رأيتكِ أخطأتُ في النحو**"..

صاحب مشروع "**تعال نكتب في بغداد**" لتعليم طلاب المدارس الابتدائية كتابة القصة القصيرة للطفل، فازت مجموعته "**كرسي العازف**" بالمركز الثالث في جائزة اثير الشعرية في مسقط عام 2014.. حاصل على المركز الثالث بجائزة الشارقة للإبداع العربي الدورة 12 عام 2009 في أدب الطفل عن مجموعته القصصية للأطفال "**حكايات الدرهم الذي كان يغني**" والتي صدرت بطبعتها الرابعة عن دار الهدهد الإماراتية عام 2016.. صدرت له مجموعة قصصية ثانية للأطفال "**الزرافة التي تعشق الطيران**" عن دار العالم العربي في الإمارات عام 2016..

K_soadi@yahoo.com

k.soadi@facebook.com